التفرقة الجنسية عند اليهود

للأستاذ الدكتور/ محمد بيومي مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

(١) قبل عصر موسى عليه السلام :

لعل من الأفضل هنا أن نشير - بادئ ذي بدء - إلى ذلك الزعم الكذوب الذي تطفح به صفحات الكتب، من أن اليهود ما كانوا يميلون إلى نشر دينهم بين الأمم، ذلك لأن نشر الدعوة الدينية - من بعض الوجوه - محظور على اليهود[١]، لأنهم - فيما يزعمون - "شعب الله المختار"[٢] وبالتالي فهم "شعب مقدس" اختاره ربهم "يهوة" ليكون شعبه المختار، دون بقية شعوب الأرض .

ومن ثم فقد خاطبهم في توراتهم "واتخذكم لي شعباً، وأكون لكم إلهاً"[٣]، و "أنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأمة مقدسة"[٤]، بل إن ربهم يقول لهم - فيما تروي توراتهم - "إنك شعب مقدس للرب إلهك. وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً، فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض"[٥]، وهكذا نظر بنو إسرائيل إلى أنفسهم، على أنهم الشعب الذي اصطفاه الله، وفضله على العالمين، وأن من عداهم من الشعوب أقل منهم مكانة في سلم الإنسانية، وبالتالي فلا تسمح أنفسهم أن تكون هذه الميزة لغيرهم من الشعوب[٦].

ومن هنا بدأ الصهيونية يزعمون أن اليهود في جميع أنحاء العالم من أصل فلسطيني، وأنهم عندما يطالبون بفلسطين، فإنما يطالبون ببلادهم التي نشأوا فيها، ثم أخرجوا منها، ومن هنا بدأت "الصهيونية السياسية" تسخر الأبحاث الأنثروبولوجية، وترتب نتائجها مسبقاً، بحيث تخدم دعاواهم الاستعمارية في فلسطين .

وصميم القضية أنهم إذ يحثون عن مبرر من الجنس للعودة إلى "أرض الميعاد" بشرع اغتصابهم لفلسطين العربية، فيركزون بؤرتهم على "التفرقة الجنسية لليهود"، بمعنى أنهم بعد أن أخرجوا بني إسرائيل إلى "الشتات" Diaspora يلحون في أنهم ظلوا بمنأى عن الاختلاط الدموي مع الشعوب التي عاشوا بينها. وأن يهود اليوم، أينما كانوا، إنما هم بذلك "النسل الباشر لبني إسرائيل التوراة". ومن ثم فهم في آن واحد مجموعة جنسية واحدة، وقومية تاريخية واحدة، مثلما هم طائفة دينية واحدة، ومن ذلك جرماً، بالطبع لا إلى تدعيم

---

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب - القاهرة ١٩٢٧ ص٢٧ .

(٢) خروج ١٩/٥، تثنية ١٤/٢، تثنية ١٠/١٥ .

(٣) خروج ٦/٧

(٤) خروج ٦/١٩ .

(٥) تثنية ١٤/٢، وانظر ١٠/١٥ .

(٦) محمد بيومي مهران: الحضارة العربية القديمة - الإسكندرية ١٩٨٨ ص٣٠٤

حتى نرى أن سفر التكوين – أول أسفار التوراة – يخبرنا أن يعقوب قد اتخذ له زوجات أربع – شقيقتان هما "راحيل" و"ليئة" [1]، وجاريتيهما "بلهة" و"زلفة" [2] – ولحن لا نعرف جنسية الجاريتين، لأن التوراة لم تخبرنا إلا أن "بلهة" جارية "راحيل" وأن "زلفة" جارية "ليئة"، وإن حسبنا أن راحيل وليئة إنما هما ابنتا خال يعقوب، "لابان بن بتوئيل" الآرامي، من "فدان آرام" [3].

وانطلاقاً من هذا، فإن أبناء إسرائيل من "بلهة" جارية راحيل – وهما دان ونفتالي – وأبناء "زلفة" جارية ليئة – وهما جاد وأشير – نصف إسرائيليين، وبعبارة أخرى فإن رؤوس أربعة من الأسباط الاثني عشر، نصف دمائهم إسرائيلية، ونصفها الآخر لا ندري عنه شيئاً.

وأما بقية الأسباط الثمانية، أبناء يعقوب من راحيل – وهما يوسف وبنيامين – وأبناء ليئة – وهم رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون، وشقيقتهم دينة [4]، فنصف دمائهم إسرائيلية، ونصفها الآخر آرامية.

وإذا انتقلنا إلى رؤوس الأسباط، وبدأنا بسبط يوسف، لوجدنا نفس الأمر، ذلك لأن يوسف عليه السلام، إنما تزوج من "آسنات بنت فوطي فارع" [5] – كاهن "أون" [6] – ورزق منها بولديه "منسي وأفرايم" [7]، وهكذا يكون رأسا سبطي "منسي وأفرايم"، نصف إسرائيليين، نصف مصريين.

---

(١) تكوين ٢٩/١٥-٣٥ .

(٢) تكوين ٣٠/١-١٢ .

(٣) تكوين ٢٨/١-٧ .

(٤) تكوين ٢٩/٣١-٣٥، ٣٠/١٤-٢١ .

(٥) تكوين ٤١/٤٥ .

(٦) أون: هي "بيرع" المصرية، و"هليوبوليس" الإغريقية، ويرجع المؤرخون نشأتها إلى ما قبل عام ٤٢٤٢ ق.م.، وفيها قامت أول حكومة مصرية متحدة، كما أن أهل الفكر فيها نجحوا في وضع التقويم الشمسي، وبداية توزيع الشهور الاثني عشر على أساسه، فيما بين عامي ٤٢٤٢-٤٢٢٦ ق.م.، كما نجحوا في رصد ارتفاعات فيضان النيل في منطقة الروضة القريبة منها، والتي كانت تسمى "نيرـمعي" بمعنى "بيت النيل" أو "بيت الفيضان"، كما نسب إلى فلاسفة "أون" أقدم مذهب ديني لتفسير نشأة الوجود، ويعرف مكانها الآن باسم "عين شمس" في منطقة المطرية في شمال القاهرة . (محمد بيومي مهران: مصر ١/٣٠٩-٣١٣) .

(٧) تكوين ٤١/٥٠-٥٢ .

(٢) في عصر موسى عليه السلام :

ويعيش بنو إسرائيل في مصر – ما شاء الله لهم أن يعيشوا [١] – فترة رخاء على أيام يوسف عليه السلام، ثم مضت فترة لا ندري مداها على وجه التحقيق، بدأ بعدها الفراعنة يذيقهم العذاب الأليم [٢].

وتروي التوراة أن فرعون أمر شعبه قائلاً: كل ابن يولد تطرحونه في النهر، لكن كل بنت تستحيونها [٣]، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قول الله تعالى " إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم " [٤]، ويقول الله تعالى – مخاطباً بني إسرائيل – "وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم " [٥].

وفي هذا البلاء – ذبح الأبناء، واستحياء البنات – لابد أن تنتهك الحرمات، وتختلط الأنساب، فلا تبقى نقاوة جنسية لليهود، إلا من عصم الله .

وعلى أي حال، فالتوراة تخبرنا أن موسى عليه السلام، إنما قد تزوج من امرأتين، الواحدة مديانية، وهي "صفورة بنت كاهن مديان"، وقد رزق منها بولديه "جرشوم وإليعازر" [٦]، ومن ذلك نستخلص أن ولدي موسى إنما كانا نصف إسرائيليين، نصف مديانيين .

وإلى زواج موسى من ابنة شيخ مديان – ولعله نبي الله شعيب عليه السلام – يشير القرآن إلى

---

(١) تكوين ١٥/١٣، قارن: خروج ١٢/٤٠ .

(٢) انظر عن الاضطهاد وأسبابه:

محمد بيومي مهران: إسرائيل، ١/٢٦٥-٢٨٢ (ط١٩٧٨) .

(٣) خروج ١/٢٢ .

(٤) سورة القصص: آية ٤، وانظر:

تفسير روح المعاني ٢٠/٤٢-٤٤، تفسير ابن كثير ٣/٦٠٦-٦٠٧ (بيروت ١٩٨٦)، تفسير القرطبي ص٤٩٦٣-٤٩٦٥ .

(٥) سورة البقرة: آية ٤٩، وانظر:

تفسير الطبري ٢/٣٦-٣٩، تفسير الطوسي ٢/٢٣١-٢٣٥، تفسير روح المعاني ١/٢٥٢-٢٥٤، تفسير النسفي ١/٤٩، تفسير القرطبي ص٢٢٥-٢٣٠، تفسير الكشاف ١/١٢٧-١٢٨، تفسير البحر المحيط ١/١٨٧-١٨٨، تفسير المنار ١/٢٠٨-٢١٣، جواهر في تفسير القرآن للجوهري ١/٥٩-٦١، في ظلال القرآن ١/٧٠-٧٢، التفسير الكاشف لدراز مقدمة ٦/٩٨-١٠٠، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١/٦٨-٦٩ (طهران ١٣٧٧هـ)، تفسير ابن كثير ١/١٢٦-١٢٨ .

(٦) خروج ٢/١٦-٢٢، أخبار أيام أول ٢٣/١٥-١٧ .

الجنسية عند اليهود، أن نشير إلى سفرين معروفين في التوراة، وهما سفرا راعوث وأستير[1].

أما سفر راعوث فقد خصصته التوراة لقصة "راعوث المؤابية" – جدة داود عليه السلام – وأما سفر أستير، فقد خصصته التوراة لقصة "أستير"، تلك الفتاة اليهودية التي تزوجت من ملك الفرس.

ولست أجد دليلاً أقوى على دحض "أسطورة النقاوة الجنسية عند اليهود" من أن تخصص التوراة نفسها سفرين: الواحد يحلل امرأة مؤابية تزوجت من يهودي، فكان من سلالتها داود عليه السلام – ملك اليهود القدير، وموحد أسباطهم، ومقيم دولتهم –.

والآخر يحلل امرأة يهودية تزوجت مشركاً فارسياً. فكان ذلك سبباً في أن تخصص لها التوراة سفراً خاصاً. وربما كان السبب – فيما يرى الدكتور حسن ظاظا – أن تلك الفتاة "أستير" في القصة التوراتية التي تعرفها عنها، تنادم ملك الفرس، وتعاقر معه الخمر، في كامل جفائها وعنادها وزينتها، حتى تحصل منه – مع مطلع الفجر – على وعد برجوع اليهود إلى فلسطين، مثل وعد بلفور، بعد ذلك بنحو ألفين وخمسمائة عام[2].

وهكذا يبدو بوضوح أن "يهود عصر التوراة" في فلسطين، قد اختلطوا مع الجماعات الأخرى – السابقة لهم في فلسطين واللاحقة بهم – من كنعانيين وأموريين ومزاميين وعمونيين وفلسطينيين وحيثيين وفرزيين – كما اختلطوا كذلك بغيرهم في خارج فلسطين، وكان نتيجة ذلك أن تألفوا كتلاً من دمائهم، وتشعبوا أعداداً منهم، حتى أصبحوا هم أنفسهم مجموعة مركبة عرقية بحتة، مما يدل بوضوح على أن "النقاوة الجنسية" غير موجودة، حتى في عهد "يهود التوراة"، ذلك العهد الذي كثرت فيه تحذيرات رب إسرائيل لشعب إسرائيل، بعدم الاختلاط بنساء غير عربية أو إسرائيلية، عن طريق الزواج بغير الإسرائيليات.

ولعل من الجدير بالإشارة هنا، أن المؤرخ الأمريكي الكبير "جيمس هنري برستيد"(١٨٦٥-١٩٣٥) إنما يشير إلى أن "الأنف المعقوف" الذي يسخر منه أعداء اليهود، ويعتبرونه علامة مميزة لجنسهم، ليس في الواقع من العلامات الجنسية المميزة في شيء، وإنما اتصف به بعض اليهود لشدة امتزاجهم بالتزاوج مع الحيثيين – وهم من الشعوب الآرية القديمة – هذا فضلاً عن أن اليهود أنفسهم يقولون إنه منذ فجر التاريخ وتحت مسمياتهم تعرض للاضطهاد، ويعتبرون شكلاً من أهم أشكال الاضطهاد في انتهاك الأعراض، فالفراعنة يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ونبي الله سليمان عليه السلام – وخلفاؤه من بعده – يكثرون من التزوج بالأجنبيات، ويجعلون ذلك عادة مشتهاة بين عامة اليهود، والآشوريون – والبابليون من بعدهم – يأخذون نساء اليهود سبايا، ورجالهم عبيداً[3].

---

(١) انظر عن سفر أستير: محمد بيومي مهران: إسرائيل ٢/٨٠-٨٢.

(٢) حسن ظاظا: المرجع السابق ص٩١

(٣) نفس المرجع السابق ص١٨.

وعلى أية حال، فإن التوراة إنما تتحدث بالقصص التي تتحدث عن تهويد أناس من غير بني إسرائيل – كما في أسفار الخروج والقضاة وراعوث وصموئيل الثاني وأخبار الأيام الأول وغيرها –[1].

هذا وتقدم لنا التوراة اليهود في عصر القضاة – وعلى أيام "دبورة"[2] النبية القاضية بالآلات – على أنهم أربعون ألفاً من المحاربين[3]، ثم هم بعد ذلك على أيام داود عليه السلام (وبعد حوالي نصف قرن من الزمان) على أنهم مليون وثلاثمائة ألف[4]، مما يدل على أنهم كانوا على أيام الملكية، خليطاً من الإسرائيليين والكنعانيين، وإن كانت الأرقام – رغم ما فيها من مبالغة تميزت بها التوراة[5] – تدل على أن الغالبية العظمى، إنما كانت من الكنعانيين[6].

ولعل من الجدير بالإشارة هنا أن "السبي الآشوري" (في عام ٧٢٢ ق.م.) ثم "السبي البابلي" (٥٨٧–٥٣٩ ق.م.) إنما كانا – دونما ريب – سبباً في تهجير آلاف اليهود إلى العراق، واستيطانهم بآخرين، فضلاً عما حدث أثناء ذلك من اختلاط جنسي بين الغزاة الآشوريين والبابليين، وبين نساء بني إسرائيل – راضيات كن أم كارهات – حتى أن سفر "عزرا" – واللي كتب أثناء السبي البابلي – لا يتحدث – كما أشرنا من قبل – إلا عن هذا الاختلاط في معظمه[7].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أنه في "العصر المكابي" (١٦٦ ق.م –١٣٥م) أجبر "يوحنا هوركانوس" (١٣٥–١٠٥ ق.م.) الآدوميين – أبناء عيسو – حوالي عام ١٢٦ ق.م.، على الختان واعتناق اليهودية، رغبة منه في إزالة الفوارق الدينية بين اليهود والآدوميين، فضلاً عن نشر اليهودية بين الآدوميين، ومن ثم فقد انضم أبناء عيسو إلى بني إسرائيل، ثم أصبحوا جميعاً يهوداً[8].

---

(١) خروج ١٢/٣٨؛ قضاة ١/١٦، ١١/٤١؛ راعوث ١/١–٤، ٤/١٢–١٣؛ صموئيل ثان ١١/٢–٢٤؛ أخبار أيام أول ٢/٩، ١٨–٢٠، ٢٥–٢٧، ٣٣، ٤٢؛ ١١/٣٢، ٢٧/٣٠، وكذا :

A. Lods, Israel from its Beginning to the Middle of The Eight Century, London, 1962, p.391.

(٢) انظر عن "دبورة": قضاة ٤/٤، ٥/٣٠، محمد بيومي مهران: إسرائيل ٢/٦٣١–٦٣٤ .

(٣) قضاة ٥/٨ .

(٤) صموئيل ثان ٢٤/٩ .

(٥) انظر: محمد بيومي مهران: إسرائيل ٣/٣٠١–٣٢٣ (ط ١٩٧٨) .

(6) A. Lods, op.cit., p.333.

(٧) عزرا ٩/١–١٠، ٤٤؛ وانظر: تروت الأسيوطي: المرجع السابق ص ١٨٠ .

(٨) سفر المكابيين الأول ٤/٢٩، ٥/٦٥؛ إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب – القاهرة ١٩٢٧ ص٧٢، تاريخ اللغات السامية – القاهرة ١٩٢٩ ص١٠٥، فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/٢٦٩ (بيروت ١٩٥٨) وكذا:
Josephus, Antiquities of The Jews, XIII, p.1.

(٤) في أوربا :

ويستمر الامتزاج – طوعاً أو كرهاً – باليونان والرومان، حتى إذا ما حدث الشتات، وتفرق اليهود في الأرض بدداً، اختلطوا بغيرهم، ولعل من الأمثلة الهامة على هذا الاختلاط، النساء اليهوديات اللاتي تم بيعهن كإماء، وأخذن إلى مقاطعة "الراين" كزوجات لجنود الرومان، غير أن بعض هؤلاء الجنود هجروا هؤلاء النسوة اليهوديات، عند نقلهم إلى مواقع أخرى، فشب أبناؤهم كيهود – وهم في الأصل من جنس روماني–.

وعلى أية حال، فالثابت أن التحول الاختلاط كانا من المظاهر المتفشية قبل العصر المسيحي مباشرة وفي قرونه الأول كذلك، ذلك أن اليهود عندما تشتتوا في العالم المتوسطي، وجدوا أنفسهم إزاء خيارين :

الأول: أن يرتدوا إلى الوثنية كجيرانهم الجدد، والثاني: أن يحتفظوا بديانتهم اليهودية، وهنا – كما يقول برجل[1]– أصبح الكثيرون – ربما الأغلبية – واثنين، وذلك لأن من بين القبائل الاثنى عشر، عشرة قبائل مفقودة، كما تحدثنا الروايات .

وفي حالة التحول كان اليهود يفقدون كيانهم الجنسي، جنباً إلى جنب، مع كيانهم الديني، ويصبحون جزءاً لا يتجزأ عن الأمة التي أقاموا بينها .

وأما إذا ظلوا على يهوديتهم، فإنها إذن "العزلة الاجتماعية"، ومن ثم فلا تزاوج، إلا إذا تحول الوثنيون إلى اليهودية، وهذا بالطبع ما حدث مراراً وتكراراً، لأن اليهود – على عكس ما هو مشاع – قاموا بكثير من التبشير بنجاح عظيم، عبر قرون طويلة، وهذا ما يفسر جزئياً نموهم وتباينهم الجنسي .

غير أن هذا الموقف سرعان ما تغير بعد أن أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية، ومن ثم فقد أصبح التحول إلى اليهودية صعباً، ولكن التزاوج والعلاقات غير الشرعية لم تتوقف .

وأما في العصور الوسطى، حيث أصدرت المجالس الكنسية قرارات صارمة بمنع زواج المسيحيين باليهود – كما فعل مجلس توليدو في عامي ٥٣٨، ٥٨٩م، ومجلس روما في عام ٧٤٣م – فإن أغلب الكتاب يفسرها على أنها دليل على خطورة المدى الذي كان الزواج المختلط قد وصل إليه بالفعل .

وهناك ما يشير إلى أن الملك "ريكاردو" كان يكره اليهود – وخاصة بعد اعتناقه للنصرانية – ومن ثم فقد كان وراء قرارات "المجمع الكنسي" الذي انعقد في عام ٥٨٩م في طليطلة، والتي من أهمها :

١. منع استخدام اليهود للمسيحيين في أي نوع من الأعمال .

٢. فصل كل اليهود الذين في خدمة الحكومة، ومراعاة عدم تعيينهم مستقبلاً .

٣. ضرورة عتق أي عبد مسيحي تملك ليهودي .

---

(1) E.E. Bergel, urlian Sociology, Mc Graw-Hill, 1955.

٤. منع زواج المسيحيات باليهود .

٥. منع الختان الذي كان يفرضه اليهود على عبيدهم وخدمهم، ومعاقبة أي يهودي يفرض الختان على خادمه وعبده بمصادرة أملاكه .

٦. ضرورة تعليق اليهودي شارة مميزة في مكان ظاهر، حتى يعرفه الجميع .

وقد أصبحت هذه الالتزامات قانوناً في الدولة، ولكن تنفيذها لم يكن صارماً – شأن أي قانون في العصور الوسطى – فاستمر بعض النصارى عيداً لليهود، ولم يمنع اليهود عن مخالطة النساء النصرانيات .

بل إن اليهود إنما بدأوا يستهزئون بالمسيحية ومعتنقيها، وكان استهزاؤهم بشكل واضح إنما يظهر في "عيد البوريم" [1] الذي يحرقون فيه صليباً [2].

وفي عام ٦٣٣م جدد المجلس الكنسي – في دورته الرابعة – قراراته السابقة (قرارات عام ٥٨٩م) ثم أضاف إليها ما يأتي :

١. يتحتم على كل يهودي أن يسم أبناءه عند بلوغهم السابعة للكنيسة لتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية .

٢. يسلم كل يهودي ارتد عن المسيحية لأحد النصارى لاتخاذه عبداً .

غير أن هذه القرارات كسابقتها، لم ينفذ منها إلا القليل [3].

وعلى أية حال، فإن الأمر قد تغير كثيراً في ظلال الخلافة الإسلامية في الأندلس، فمنح اليهود حق التنقل في أنحاء البلاد، والتجارة والوظائف العامة، وأعيدت لهم حقوقهم التي صادرتها الحكومة السابقة، وأعادت لهم الكنيسة أبناءهم، الأمر الذي أدى إلى هجرة كثير من يهود أوربا إلى الأندلس [4].

وكان اليهود يتجمعون في مدن معينة، كقرطبة والمقا وطليطلة وأشبيلية وسرقسطة والبيرة واليسانة، التي يقول الإدريسي (١١٠٠–١١٦٦م) أن سكانها كانوا من اليهود فقط، ولا يداخلهم فيها مسلم .

وفي ظلال هذا التسامح الإسلامي، أتيحت الفرصة لكثير من أبناء يهود في أن يظهروا في المجتمع الأندلسي كشخصيات عامة ومرموقة، من أمثال: صموئيل اللاوي بن يوسف بن نغريلة، والمشهور عند العرب باسم "إسماعيل بن يوسف بن نغرية"، والذي وصل إلى منصب الوزير عند "باديس" وغرناطة، بل إنه كان يقود الجيش ضد أعداء باديس .

وسرعان ما لازمته الخسة اليهودية، فتكبر للإسلام والمسلمين، بل وتطاول على الإسلام، وكتابه

---

(١) أنظر عن عيد البوريم أو المسخرة: محمد بيومي مهران: إسرائيل ٤/١٧٩–١٨١ .

(٢) انظر: Graetz, History of The Jews, II, p.648.

(٣) محمد عبد الحميد : اليهود في الأندلس – القاهرة ١٩٧٠ ص١٢–١٧

(٤) نفس المرجع السابق ص ٢٠–٢١، الإدريسي: المغرب والسودان ومصر والأندلس ص٢٠٥ .

وشرائعه، واستهزأ بالمسلمين، وألف كتاباً يطعن فيه على الإسلام والقرآن العظيم [1]، وقد رد عليه الإمام ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦ هـ/٩٩٤-١٠٦٤م) بكتاب سماه "الرد على ابن نغرية" اليهودي [2].

ولعل من الأهمية بمكان أن هناك ثمة أدلة أخرى على الاختلاط والتحول على نطاقات إقليمية : فالسفارديم (Sephardim) قبل خروجهم من أسبانيا، إنما كانوا قد استوعبوا دماء "أيبرية وغربية وبربرية" كثيرة في عروقهم، والأمر كذلك بالنسبة إلى دخول الإسلام مباشرة .

وأما في أوربا، فالأدلة التاريخية تشير بكل قوة إلى أجداد "الأشكنازيم" (Ashkenazim) اختلطوا مع أبناء غرب أوربا إلى ما قبل "الحروب الصليبية" اختلاطاً أقوى من اختلاط أجدادهم من أبناء البلاد السلافية في شرق أوربا .

هذا – ورغم الاضطهاد الطويل الذي عاناه اليهود على أيدي النصارى – فإن ذلك لم يحل بين اليهود وبين امتصاص عناصر نصرانية جديدة، بطريق الزواج، وفي ذلك يقول "ربلي" : من المرجح أن كثيراً من الدم المسيحي قد امتصه اليهود بواسطة "الزواج الخفي" أو "المخالف للقانون" فلقد سنت قوانين كثيرة في العصور الوسطى تحرم على اليهود أن يتخذوا خادمات من النصارى .

غير أن هذه القوانين إنما كانت قليلة الغناء، لأننا نجد أحد الأساقفة في "ليجر" عام ١٢٢٩م، يقرر أن هناك يهوداً عادين يعيشون عيشة غير شرعية، مع زوجات من النصارى، هذا فضلاً عن أن المتحولين إلى النصرانية يعدون بالآلاف، ثم يقول : إن هذا التحريم إنما كان مقصوراً على الحرائر، أما الإماء فلم يكن هناك تشريع بخصوص، ومن ثم، فلم يكن هناك حائل، بين إمكانية التهود والزواج من اليهود .

وفي أسبانيا والبرتغال، حدث العكس – بعد الاسوداد – إذ أجبر مئات من الألوف من اليهود على اعتناق النصرانية بالقوة، والتحول إلى المسيحية، حيث ذابوا بعدها في السكان المسيحيين [3].

(٥) في آسيا :

يحدثنا المؤرخون أن للتتار دوراً هاماً في التاريخ اليهودي، فقد قامت دولة في القرن السابع الميلادي، هي "دولة الخزر الوثنية"، التي تحولت بالجملة إلى اليهودية في القرن الثامن – على أيام شارلمان (٧٤٢-٨١٤م)، بينما بالمقابل تحول اليهود المهاجرون إلى لغة الخزر التركية، المسماة "جاجتاي" (Jagatai)، وبهذا أصبح في المنطقة نوعان من اليهود: يهود أصليون مهاجرون، وآخرون متحولون

---

(١) محمد ثابر عبد المجيد: المرجع السابق ص٣٩-٤٩ .

(٢) صدر الكتاب في القاهرة ١٩٦٠، بتحقيق إحسان عباس .

(٣) محمد عوض محمد : المرجع السابق ص١٥٣، وانظر:

W.Z. Ripley, The Races of Europe. London, 1900.

من السكان المحليين (١).

وهكذا رأينا في القرن الثامن الميلادي شعباً بأسره يعتنق اليهودية – وليس له بعض إسرائيل أية صلة جنسية – وذلك حين اعتنق "بولان" ملك قبائل "الخزر المتغولية" الديانة اليهودية في عام ٧٤٠م، ثم اتخذها ديناً رسمياً للخزر.

ويذهب البعض إلى أن هذه القبائل المتغولية إنما قد طبعتها طبائع القسوة المتعطشة إلى الدماء التي كانت تتميز بها تلك القبائل المتغولية، ولقد رغب مسلمو الشرق في أن يرشدوا هؤلاء الخزر إلى الإسلام وسماحته، وفي نفس الوقت رغب مسيحيو الغرب في أن ينشروا السلام في هذه المملكة المتغولية الدموية.

وكان ذلك كله دافعاً لحاكم هذه القبائل على الاطلاع على الدين اليهودي – كما تقدمه توراة يهود – فصادف هذا الدين من نفس "بولان" هوى، فقد وجد فيه – بما يحويه من طقوس دموية، وبما يشمل عليه من شرائع تبيح كل أنواع القسوة – تفسيراً لأهول دينه الوثني، فاعتنق اليهودية ديناً في عام ٧٤٠م، ثم تبعه حاشيته، فشعبه، ثم أعلنه ديناً رسمياً لقبائل الخزر المتغولية (٢).

وعلى أية حال، فقد كان للخزر مركزان: الواحد على سواحل بحر قزوين (بحر الخزر) عند مصب الفولجا، والآخر في القرم، ولقد ألغي المركز القزويني في القرن العاشر الميلادي، ولكن مركز القرم ظل حتى القرن الحادي عشر، إلى أن تحطم على يد دولة "كييف السلافية" الجديدة، والتي تمثل طلائع الدولة الروسية الحديثة.

وعندما انتشر كثير من الخزر – من يهود ومتهودين – في أجزاء كثيرة في جنوب الروسيا، بالإضافة إلى ما عسى أن يكون دخلها من قبل من "يهود البلقان المهاجرين"، حيث يمكن أن نتبع ظهورهم – على الطريق – في "رومانيا" في القرنين (١٠،١١م)، وفي بولندة في القرنين (١٢،١٤).

وفي عام ١١١٠م منعت الروسيا نهائياً دخول أي يهود جدد بها، وحددت للموجودين منهم مناطق معينة لا يتعدون خارجها، وهي التي سنزلف النطاق الذي سيعرف تاريخياً باسم "حظيرة اليهود" (Jewish Pale)(٣).

---

(١) جمال حمدان: المرجع السابق ص١٨.

(٢) محمد بن عبد المجيد: المرجع السابق ص٧٤-٧٨؛

وأبكار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة – القاهرة ١٩٦٧ ص٤٩؛

وانظر: بهوذا بن سمرتيل الأوتي: السبي والتهليل في سيرة الدين الذليل.

(٣) جمال حمدان: المرجع السابق ص١٨.

(٦) في بلاد العرب :

لا ريب في ان هناك دليلاً على أن اليهودية بدأت تأخذ طريقها إلى بلاد العرب منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وعلى أيام سليمان عليه السلام (٩٦٠-٩٢٢ ق.م.)، حيث يروي القرآن الكريم - في سورة النمل - قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام، وكيف بدأت بدعوة النبي الكريم ملكة سبأ إلى الإسلام (على أساس دعوة موسى ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل، وحتى المسيح عليه السلام) .

هذا وقد انتهت القصة - بعد أن تأكدت ملكة سبأ أن نبي الله سليمان عليه السلام، إنما يهدي لها ولقومها الهداية إلى سواء السبيل - بأن قالت الملكة "رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين" [1].

وهكذا يكذب القرآن الكريم أسطورة النقاوة الجنسية عند اليهود، وأن كل يهود العالم من نسل يهود التوراة، ذلك لأن ملكة سبأ ليست وحدها هي التي أسلمت، وإنما أسلم معها الملأ من قومها - على الأقل - إن لم يكن معظم شعبها، على عادة تقليد الملوك وكبار القوم .

هذا وهناك من المؤرخين من يذهب إلى أن "بني النضير" و"بني قينقاع" - وهما فرعان من قبيلة جذام العربية - قد تهودوا، ونعوا بالمكان الذي نزلوا فيه [2]، وطبقاً لرواية الاخباريين فإن "جبل بن جوال" من "بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان" قد تهود هو وقومه، وعاش مع بني قريظة، حتى ظهور الإسلام، ثم هداه الله إلى الدين الحق، فأسلم وحسن إسلامه [3].

وهناك "كعب بن الأشرف" - اليهودي المشهور - وكان من "بني طيء"، ثم أحد "بني نبهان"، ولكن أمه من يهود بني النضير، وقد قتله المسلمون بسبب تشبيبه بنساء المسلمين الطاهرات، وبسبب شعره في التحريض على مولانا وسيدنا وجدنا محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن تحريض قريش على محاربة المسلمين في المدينة والثأر لقتلاها في بدر [4].

---

(١) انظر: سورة النمل: آية ٢٠-٤٤، وانظر: تفسير الطبري ١٩/١٤٣-١٧٠، تفسير القرطبي ١٩/٢٠٨-٢٣٠، تفسير ابن كثير ٣/٥٧٦-٥٨٦، تفسير أبي السعود ٤/١٢٧-١٣٤، في ظلال القرآن ٥/٢٦٣١-٢٦٤٣، تفسير البيضاوي ٢/١٧٣-١٧٨، تفسير الكشاف ٣/١٤٢-١٥١، تفسير روح المعاني ١٩/١٨٢-٢١٠، تفسير القرطبي ١٣/١٧٦-٢١٣، حاشية زاده على البيضاوي ٣/٤٩٣، صفوة التفاسير ٢/٤٠٧-٤١٠، تفسير النسفي ٣/٢٠٧-٢١٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٦-٣٩ (بيروت ١٩٦٠) .

(٣) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ١/٢٢٣ - القاهرة ١٩٣٩ ؛

ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٢٢٢ .

(٤) ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/٥١-٥٢ - القاهرة ١٩٥٥؛ ابن كثير: السيرة النبوية ٣/٩-١٥، محمد يوسف مهران: السيرة النبوية الشريفة ٢/٢٧٠-٢٧٥ (بيروت ١٩٩٠)، زاد المعاد ٣/١٩١-١٩٢، القاضي عياض: الشفا - تعريف حقوق المصطفى ٢/٢٢١، محمد أبو زهرة: خاتم النبيين ٢/٦٨٦-٦٩١ .

وهناك الكثير من العرب المتهودة – ولا سيما القبائل المسماة بأسماء عربية أصيلة – لها صلة بالوثنية، مما يدل على أنها كانت وثنية قبل أن تتهود، ومن ثم فهناك العديد من البطون العربية التي تهودت [1].

والتاريخ يحدثنا ان قوماً من الأوس والخزرج قد تهودوا، بعد خروجهم من اليمن ومجاورتهم ليهود خيبر وقريظة والنضير، كما تهود قوم من "بني الحارث بن كعب"، وقوم من غسان، وقوم من "بلي" [2].

هنا وهناك ما يشير إلى أن "المرأة المقلات" في الجاهلية، إنما كانت تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده، ومن ثم فقد تهود بعض منهم، فلما جاء الإسلام أراد بعض الأنصار إكراه أبنائهم عليه، فنهاهم الله تعالى عن ذلك [3]، حيث يقول سبحانه وتعالى "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" [4].

هذا – وكما أشرنا من قبل – فإن اليهودية بدأت تأخذ طريقها إلى اليمن منذ القرن العاشر قبل الميلاد – على أيام سليمان وملكة سبأ – ثم زاد انتشارها بعد تدمير "بيت المقدس" على يد القائد الروماني "تيتوس" في عام ٧٠م، ومن ثم فإن أصحاب هذا الاتجاه الأخير، إنما يرون أننا لو فحصنا أسماء اليهود المقيمين في بلاد العرب، لرأينا أن معظمهم آراميون، وعرب متهودون، وليسوا من بني إسرائيل – من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام – [5].

وهناك من يرى أن الملك الحميري "أبو كرب أسعد" (حوالي ٤٠٠–٤١٥ ق.م.) إنما قد تهود ثم فرض اليهودية على الحميريين – فيما تروي المصادر العربية – [6].

وفي عهد "ذي نواس" (٥١٥–٥٢٥م) زاد انتشار اليهودية، بسبب تهوده، ورغبة منه في أن يقاوم

---

(1) D.S. Margoliouth, The Relations Between Arabs and Israelites Prior to The Rise of Islam, London, 1924, p.60.

وكذا :

D. Noldeke, in EB, 24, 1911.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢٥٧/١، جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٢٥/٦، وكذا:

H. Graetz, History of The Jews, II, Philadelphia, 1956, p.408.

وكذا :

Islamic Culture, III, 2, p.177.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى ١٨٦/٩، سنن أبي داود ٧٨/٣-٧٩، إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٨٨ .

(٤) سورة البقرة: آية ٢٥٦، وانظر: تفسير المنار ٣٥/٣-٤٠، تفسير الطبري ٤٠٧/٥-٤٢٤، تفسير القرطبي ٣٠٤/٣-٣٠٧، تفسير أبو السعود ١٨٩/١-١٩٠، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢٩٣/١-٢٩٦، تفسير روح المعاني ١٣/٣-١٥، مسند الإمام أحمد ١٨١/٣، ٤٦/٥، ٤٥٢، ١٦٠/٧ .

(5) P.K. Hitti, History of The Arabs, London, 1960, p.61.

(٦) انظر: تاريخ الطبري ١٠٧/٢-١١١، تاريخ اليعقوبي ٩٨/١، ابن كثير: البداية والنهاية ١٦٤/٢-١٦٧، الأزرقي: أخبار مكة ٢٤٩/١، تاريخ ابن خلدون ٥٣/٢-٥٤، تفسير الطبري ١٥٤/٢٧، تفسير الخازن ١١٥/٤ .

ديناً سماوياً بدين سماوي آخر (مقاومة النصرانية باليهودية)، ومن ثم فهو يمثل الروح القومية في اليمن، وذلك حين رأى في النصارى من مواطنيه ما يذكره بحكم الأحباش المسيحيين الغاشم [1]، بخاصة وأن النصرانية قد أصبحت وقت ذاك إنما تستند إلى قوة الامبراطورية الرومانية الشرقية الطامعة في غزو اليمن [2].

على أن هناك من يرى أن "ذا نواس" إنما كان في الأصل – طبقاً لرواية ابن العبري – من أهل الحيرة، وأن أمه يهودية من "نصيبين" وقعت في الأسر، فتزوجها والد يوسف (ذو نواس) فأولده منها، ومن ثم فهو يهودي ولد إلى اليمن من الحيرة [3].

وعلى أية حال، فإن كثيراً من المؤرخين إنما يذهبون إلى أن يهود بلاد العرب، إنما هم عرب قد تهودوا، وإن لم يكونوا مزودين بمعلومات كافية عن التوحيد، ولم يكونوا خاضعين لقانون التلمود كله، حتى أن بعضاً من يهود دمشق وحلب – في القرن الثالث الميلادي – أنكروا عليهم يهوديتهم، وإن كانوا – مع ذلك – شديدي التمسك بدينهم.

وهكذا يبدو بوضوح أن اعتناق اليهودية لم يكن أبداً متصوراً على بني إسرائيل فحسب، وإنما اعتنقها أقوام آخرون، من غير بني إسرائيل، وأن هؤلاء اليهود من غير بني إسرائيل – أو هؤلاء المتهودين من غير أبناء يعقوب (إسرائيل) – إنما كان اعتناقهم لليهودية – أو تهودهم – لأسباب مختلفة.

فهناك من اعتنق اليهودية إيماناً بها، وبنبيها موسى عليه السلام، على أنها دين سماوي – كما أشار القرآن الكريم إلى السحرة المصريين على أيام موسى عليه السلام، وإلى ملكة سبأ على أيام سليمان عليه السلام – ومن سار في ركابهما، كما فعل العبيد والأسارى الذين لحقوا بركب الخروج من مصر – في القرن الثالث عشر ق.م. – كما تشير التوراة إلى ذلك.

على أن هناك فريقاً من المتهودين إنما قد فرضت عليهم اليهودية، بقوة الدولة وسلطانها، على أيام دولة إسرائيل في فلسطين – كما حدث بالنسبة إلى الكنعانيين على أيام الملكية الإسرائيلية – وهناك من فرضت عليهم اليهودية بحد السيف – كما حدث بالنسبة إلى الآدوميين في القرن الثاني قبل الميلاد –.

وهناك من ولدوا من أمهات يهوديات تزوجن من جنود الرومان، بعد فشل ثورة "باركوخبا" في فلسطين عام ١٣٥م، وتدمير بيت المقدس، والقيام بمذبحة مروعة، خيمت حياة اليهود في فلسطين – كدولة وكقومية – وشرد البقية الباقية من يهود في جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية، ثم زواج كثير من بنات يهود من جنود الروم، الذين سرعان ما تركوهم – بعد حين من الدهر – فشب أبناؤهم يهوداً كأمهاتهم، وهناك من اعتنق اليهودية، لأن طقوسها الدموية تغري، وطباعهم المتعطشة إلى الدماء، كقبائل الخزر المتوغلة.

---

(1) P.K. Hitti, op.cit., p.62.

(٢) عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب – القاهرة ١٩٤٧ ص٤٥.

(٣) جواد علي: المرجع السابق ٥٩٣/٢، ثم قارن: الهمداني: الإكليل ٦٣/٢.

وهناك من اعتنقوا اليهودية لأسباب قومية كالحميريين، وهناك من اعتنقوا اليهودية تبشيراً بها من يهود، ومن اعتنقوها لأنهم كانوا مطاردين بثأر، فهجروا مواطنهم إلى مواطن أخرى تسكنها يهود، أبت عليهم مجزوراتها إلا أن يتهودوا، كما حدث مع "بني حسنة بن عكارمة"، وهم بطن من قبيلة "بلي".

وليس هناك من ريب في أن كل هذا، إنما يمنع أي شك في أن اعتناق اليهودية لم يكن أبداً، مقصوراً على بني إسرائيل وحدهم، بل هناك شعوباً أخرى – غير بني إسرائيل – قد اعتنقت اليهودية، ولا تنتمي إلى بني إسرائيل التوراة بأية صلة قرابة – من قريب أو بعيد –.

(٧) وأما في العصر الحديث :

فتوافر الأدلة في أمريكا الوسطى والجنوبية، على تحول كثير من "الهنود الحمر" إلى اليهودية، ولا علاقة لهم – جنسياً ودعوياً – باليهود أصلاً.

ولعل هذا ما يدفعنا إلى القول بأنه من الواجب على كل مفكر أن يفرق بين انتشار بني إسرائيل، وبين انتشار دينهم، بل من الواجب أن نذكر أن انتشار الدين اليهودي إنما قد خلق أجيالاً وطوائف من اليهود، لا تمت إلى بني إسرائيل بأية صلة، سوى صلة العقيدة، فلئن أننا لو فرضنا جدلاً أن الذين حملوا الدين اليهودي إلى الأقطار المختلفة، كانوا من أصل فلسطيني، فإنهم لم يكونوا سوى قطرة في بحر الشعوب، وسلالات لا تربطها ببني إسرائيل رابطة جنسية أو سلالية.

وفي هذا يقول الأستاذ "أوجين بتسار" – أستاذ علم الأنثروبولوجيا بجامعة جنيف – "إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس اليهودي"، ثم يقول: "إن اليهود يؤلفون جماعة دينية اجتماعية قوية من غير شك، شديدة التماسك، ولكن العناصر التي تتألف منها متنوعة تنوعاً عظيماً [1]، حتى بات جسم اليهود – في آخر المطاف – شيئاً مختلفاً أنثروبولوجياً عن يهود التوراة، إن لم يكن لا علاقة لهم بهم تقريباً، أو في الأغلب الأعم – أو على الأقل – كما يقول "ربلي" : إن تسعة أعشار اليهود في العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً، ليس له نظير، وأنالزعم بأن اليهود جنس نقي حديث خرافة.

ولقد أصاب الأستاذ "ريتان" في تأكيده بأنكلمة "يهود" ليس لها أي معنى أنثروبولوجي – لا في أوربا ولا في حوض نهر الطونة على الأقل – وصدق الأستاذ "ليروز" في ملاحظته بأن اليهود الحديثين، هم أدنى إلى الجنس الآري، منهم إلى الجنس السامي[2].

ومن الأدلة القاطعة – بل والمثيرة – على اختلاط اليهود في العصور الحديثة والوسيطة في أوربا، ما

---

(١) محمد عزيز محمد: المرجع السابق ص١٤٧.

(٢) جمال حمدان: المرجع السابق ص١٥٥.

كشفت عنه تجربة النازية في ألمانيا، فقد كان على المرء الذي يبغي إثبات الدم الآري فيه، أن يقدم نسباً يخلو لعدة أجيال من العناصر غير الآرية – يعني اليهودية هنا بالتحديد – ولكن المفاجأة أن التجربة كشفت أن عدداً ضخماً من الحالات من المواطنين الألمان "إلى أقصى حد"، ليست أن أجدادهم – وأجداد أجدادهم – تجري في عروقهم الدماء اليهودية – تماماً كما تردد عن "ريشار فاجنر" –.

والخلاصة الموضوعية : أن يهود العالم اليوم مختلطون في جلهم، اختلاطاً يُبعد بهم عن أي أصول – إسرائيلية فلسطينية قديمة – حتى لم تعد هذه تمثل في تكوينهم، إلا قطرة في محيط، وإذا كان هناك تخمط ما، فهو أن هناك مراحل ودرجات من هذا التخليط، فبعض المجتمعات اليهودية – كيهود التركستان – أقل تهجناً وتخلطاً، والبعض أكثر "كالإشكنازيم"، غير أن الحقيقة الحاسمة والفاصلة هي أن الأقل تخليطاً، إنما يمثلون عنصراً، نسبة بائسة ضآلة من مجموع اليهود في العالم، بينما أن المختلطين تماماً – والذين ابتعدوا جداً أو كلية عن الأصول الأولى – يشكلون الأغلبية الساحقة منهم.

ومن هنا، فلا جناح علينا، إذا قررنا في النهاية : أن اليهود ليسوا من بني إسرائيل، وأن هؤلاء شيء وأولئك شيء آخر أنثروبولوجياً، وليست هناك رابطة بين الطرفين إلا الدين، والدين فقط [1].

وانطلاقاً من كل هذا، وما ذكرناه من نصوص التوراة التي تثبت مصاهرة بني إسرائيل لجيرانهم في عصر التوراة، والاختلاط الذي حدث بينهم، وبين المصريين قبل الخروج، وبين الآشوريين والبابليين في فترات السبي، واستمرار الامتزاج – طوعاً أو كرهاً – باليونان والرومان، ثم الأتراك والعرب والأوربيين في العصور القديمة والوسيطة والحديثة، وتهود مجموعات جنسية كالخزر والحميريين، والأدومين من قبل.

من كل هذا تبدو "أسطورة النقاوة الجنسية" لدى أي مفكر، وكأنها سراب، بخاصة وأن "الجيتو" في أوربا، كان طوال العصور الوسطى هدفاً لكل متهكمي الأعراض، أثناء حملات الحقد التي يتحدث عنها اليهود أنفسهم، لإثبات "تهمة مناهضة اليهود" أو "عداء السامية"، على الأمم الأخرى، فهذه المجموعات الصغيرة من الناس، التي وقفت آلاف السنين في مهب جميع الرياح، وامتزجت بكل الدماء – حلالاً وحراماً – هي آخر من يستطيع اليوم أن يتكلم عن العنصر أو النسب أو الدم، ولكنها الخرافة التي تسوق الجهال من الناس، والتي نجحت نجاحاً محدوداً في وقت ما، فإنها لا تفتأ تجر أبشع الكوارث على من يؤمنون بها، من اليهود أو غيرهم.

ومن ثم، فلا مكان لتلك الخرافة التي تزعم أن جميع اليهود في جميع أنحاء العالم من نسل بني إسرائيل، ذلك لأن الصهيونية يوم أن قامت، لم تكن لجمع اليهود صحنة واحدة، ولا تربطهم عادات وتقاليد متشابهة، ولا لهم لغة واحدة، ولا يشملهم اقتصاد موحد، فعملوا على مدى قرن من الزمان مرتزقة للاستعمار، ثم خدعوا أبناء دينهم بهذه الضجعة العنصرية الخرافية "النقاوة الجنسية عند اليهود"، ولما كان هؤلاء اليهود البسطاء

---

(١) حسن ظاظا: المرجع السابق ص١٩ - ٢٠.

حديثي عهد بالجهل والبؤس، والخضوع يعلون مناقشة في "حارات اليهود" التي عاشوا فيها عشرات القرون، فقد صدقوا هذه الأسطورة، حتى وصلت بهم درجة الاستعداد للموت في سبيلها، وهي أقصى درجة من درجات التعصب [1].

والنتيجة النهائية لكل هذا : أن اليهود اليوم – أو المتهودين على الأصح – جاءوا من جميع الآفاق، واختلطت بهم كل الدماء، ومن هنا، فمن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوي الشعر الأشقر أو الكستنائي، والعيون الصافية اللون، اللين تلقاهم كثيراً في أوربا الوسطى يمتون بصلة القرابة – قرابة الدم – إلى أولئك الإسرائيليين القدامى الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن، فضلاً عن أن يكونوا أقرباء لليهود السود أو اليهود من الهنود الحمر أو الزنوج .

واستخلاصاً من هذا، وترتيباً عليه، فإن يهود أوربا – عماد الصهيونية ودعاتها – هم من أصل أوربي، هم أقارب الأوربيين والأمريكيين، بل هم – في الأغلب الأعم – بعض وجزء منهم لحماً ودماً –، وإن اختلفت ديانتهم، ومن هنا فإن اليهود في أوربا وأمريكا ليسوا – كما يدعون – غرباء أو أجانب دخلاء، يعيشون في المنفى، وتحت رحمة أصحاب البيت، وإنما هم من صميم أصحاب البيت – نسلاً وسلالة – لا يفرقهم عنهم سوى الدين .

وأما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء في منفى، ودخلاء بلا جذور، فذلك في "بيت العرب" وحسب، في فلسطين، حيث لا يمكن وجودهم، إلا أن يكون استعماراً أو اغتصاباً، بالقهر والابتزاز، وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريخ، أنثروبولوجياً، وغير أنثروبولوجي .

وانطلاقاً من هذا، يسقط أي ادعاء سياسي للصهيونية في "أرض الميعاد"، فبغض النظر، أن القانون الدولي يتكفل بشجب وتفجير ادعاءاتهم على أي أساس تاريخي وديني، فإن الأنثروبولوجيا تبدد أي أساس جنسي، قد يزعمونه في هذا الصدد، فمن ناحية، ليس لليهود قومية، ولا هم شعب أو أمة، بل هم مجرد طائفة دينية، تخالف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس، ومن ناحية أخرى، فلا علاقة لهم جنساً – أو أنثروبولوجياً – بفلسطين [2]، وهم أجانب غرباء عنها، دخلاء عليها، مثلما يعد الأوربيون والأمريكيون بالنسبة إليها، وهم حين يغتصبونها ليخلقوا منها "إسرائيل" الصهيونية، فليس هذه عودة الابن القديم، بعد رحلة طالت – عبر الزمان والمكان – وإنما هي غزو الأجنبي الغريب بالإثم والعدوان .

---

(1) حسن ظاظا: المرجع السابق ص١٩-٢٠

(2) جمال حمدان: المرجع السابق ص٩٢-٩٣ .